

# نكسة الانفصال

فيما يلي ننشر مقتطفات من البيان الذي صدر عن الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ ميشيل عفلق في شباط ١٩٦٢ حول تجربة الوحدة ايها الشعب العربي

ان الانتكاس الموقت الذي اصاب فكرة الوحدة نفسها واطعن الثقة بها يدفع حزبنا الى دراسة تجربة الوحدة وفشلها من اجل تحديد المسؤولية وتوضيح الأخطاء واظهار الدروس التي نفيدها منها.

والجدير بالاطمئنة العربية الثورية ان تتناول هذه التجربة واسباب فشلها بالدراسة العلمية مبعدة كل أثر للانفعال والعاطفة والأفكار المقلدة.

فعلى مثل هذه النظرة الموضوعية الهادئة يتوقف مستقبل هذا الهدف القومي الاساسي في حياة الامة العربية الذي هو الوحدة ويتوقف استئناف العمل والنضال في سبيل الوحدة على اسس سليمة تصمد لكل امتحان.

عندما قامت اول تجربة للوحدة منذ اربع سنوات ظهر من الحماسة العميقة الشاملة التي اثارتها هذه البداية في الشعب العربي من مشرق الوطن الى مغربه انها عمل تاريخي يتجاوز القطرين اللذين تمت فيهما والافراد والاحزاب التي اسهمت في تحقيقها. وعندما منيت هذه التجربة بالانتكاس ظهر من الالم العميق الذي شمل الامة العربية كلها ان فشل تجربة الوحدة يتجاوز ايضاً اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ويتجاوز الافراد والهيئات التي تتحمل بنسب مختلفة المسؤولية المباشرة في

هذا الفشل ، وأن الشعب العربي من مشرق الوطن الى مغربه يتطلع الى جواب يفسر اسباب هذه النكسة ويكون في مستوى الحدث التاريخي الذي حقق الوحدة من حيث الارتفاع فوق المصالح والنظرات الاقليمية والفردية ومن حيث حصر الاهتمام بمصير الامة ويقائها .

ان الوحدة التي قامت بين سورية ومصر في شباط من عام ١٩٥٨ لم تكن بنت ساعتها ولا ارتجلت ارتجالا او جاءت هبة من الظروف والصدف . فان لها ماضياً وتاريخاً ووراءها فكر وتخطيط وجهد ونضال لقد خطط لها حزب البعث العربي الاشتراكي قبل قيامها بستتين وادخل ممثلين عنه في الوزارة الائتلافية بسورية منذ حزيران عام ١٩٥٦ على اساس تبني الحكومة لمشروع الاتحاد بين سورية ومصر والعمل على تحقيقه . وكان حزب البعث يفكر ويصرح بان قصده من وراء تحقيق اول خطوة للوحدة العربية هو ان يرجع الى العرب جميعاً ثقتهم بفكرة الوحدة وقابليتها للتحقيق ، وان يجعل من دولة الوحدة الاولى سناً وقاعدة للنضال العربي في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير، ولنضال الجزائر وفلسطين بخاصة ، وكان يرى في اوضاع سورية ومصر اكثر الشروط سلامة من اجل بداية عملية للوحدة . وفي الوقت الذي ذهب فيه الامين العام للحزب لبحث مع الرئيس عبدالناصر موضوع الاتحاد تمهيداً لذهاب وفد حكومي لبحث الموضوع ذاته ، اعلن عبدالناصر تأميم شركة القناة وفتح المعركة المعروفة ، فتحول عمل الحزب في جميع فروع العربية منذ ذلك اليوم الى الدفاع عن مصر في معركتها الجديدة ضد الاستعمار ، لان هذا الموقف هو ما تفرضه وحدة النضال العربي فحسب ، بل تمهيداً وتعبيداً لطريق الوحدة واشعاراً لمصر بحقيقة الوحدة وواقعيتها . وقد خاض الحزب في جميع اقطار المشرق معركة القناة . كتمهيد ونموذج لمعركة الوحدة . وكان الحزب في ذلك كله يعمل بوحي فكرته العربية الثورية وبوحي عقيدته القائلة بثورية الوحدة وبانها لاتأتي عفواً دون نضال يومي في سبيلها . وكان من خطة الحزب تشجيع التوجه الذي ظهر بمصر في عهدها الجديد نحو الفكرة العربية تشجيعاً قوياً ، ايماناً منه ان مصر عنصر اساسي خطير في كل محاولة لتحقيق الوحدة العربية ، وانها كانت حتى ذلك التاريخ

عاملاً سلبياً ومعوقاً. من هذه الاعتبارات والعوامل انطلق الحزب منذ اوائل عام ١٩٥٦ يعمل ويمهد للوحدة مع مصر. وكان يرى لهذه الوحدة صيغة توفق بين متانة الارتباط وواقعته، اذ كان يسعى الى اقامة دولة واحدة اتحادية لا الى اتحاد بين دولتين. وكانت الصيغة التي اختارها الحزب توفر للاقطار العربية الداخلة في الوحدة ضمانات ضد التسلط وردات الفعل الانانية والاقليمية وشروطاً تتسع للفروق الراهنة بين الاقطار العربية وتسمح بتطويرها نحو الانسجام تطوراً سليماً. ولقد فوجيء الحزب في سورية اثناء مباحثات الوحدة حين اشترط عبدالناصر حل الاحزاب في سورية وحين أرجأ دراسة صيغة الوحدة الى ما بعد اعلانها. ولكنه لم يضع هذه العوائق بمستوى الوحدة نفسها ومضى في تنفيذ خطته وقبل بشروط عبدالناصر، لانه كان يريد لها وحدة يتقوى بها العرب جميعاً ويتدعم بها نضالهم في كل مكان، يريد لها ضمانات لانتصار ثورة الجزائر وبداية لتحرير فلسطين. ولذلك، ومن اجل بلوغ هذه الاهداف القومية الكبرى، اقدم على الوحدة اعتماداً منه على ان التفاعل الشعبي الثوري بين اقليمي الجمهورية الجديدة والتفاعل الشعبي بين دولة الوحدة وحركات النضال العربي سوف يكونان الضمانة الحية ضد كل انحراف، وايماناً منه بانه لن يكون من السهل على اي حاكم - ولا سيما اذا كانت الجماهير الثائرة هي التي امدته بالتأييد والقوة - ان يستهين بارادة هذه الجماهير.

والمهم الآن ان يعرف الشعب العربي في جميع اجزاء الوطن الاسباب التي اوصلت الى هذه النكسة ليتفادى الاخطاء ويصحح السير ويتأكد ان الذي فشل ليس هو فكرة الوحدة بل تطبيقها المشوه، وان هذه التجربة، رغم ما حملته معها وادت اليه من آلام وخسائر واططار، هي ايضاً غنية بالدروس.

ونحن عندما نشير الى تلك الاخطاء التي وقع فيها نظام الحكم في عهد الوحدة انما نقصد ان تدخل معرفتها في تجربتنا القومية لتصحيحها وتغنيها، ونعتبر الكشف عن هذه الاخطاء بروح موضوعية بعيدة عن الانفعال والطعن واجباً من اقدس واجبات الموجهين تجاه امتهم، لأن هذه الاخطاء ليست من النوع العادي الذي يجوز اغفاله في ظروف الخطر، والا سمح لها بان تتكرر وتتضخم، في حين ان الكشف عنها

يعني بداية تصحيحها وتلافيها. الا ان اخطاء نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة مهما بلغت من الخطورة فانها لاتبرر الانفصال، اذ يبقى ان فشل تجربة الوحدة هو نتيجة اخطاء، وقيام الانفصال نتيجة تدبير وتصميم وتآمر.

ان خطر الاخطاء التي سببت فشل تجربة الوحدة على القضية القومية ينتهي بمجرد ان يطلع الشعب على هذه الاخطاء ويعرف كيف يصححها ويتلافها. اما خطر الوضع الانفصالي فلا ينتهي بمجرد الاطلاع على حقيقته التي هي حقيقة مفضوحة، وانما يترتب على الشعب ان يستجمع كل طاقته النضالية ليقاوم المصالح الرجعية والاستعمارية التي يتكون منها الوضع الجديد.

### ايها الشعب العربي

لقد استطاعت نظرة الحزب الثورية ان تكشف خلال نضاله الطويل قبل الوحدة عن مدى التناقض الذي كان قائماً بين واقع الاقطار العربية المجزأة وتفكير الفئة المسيطرة فيها ومصالح هذه الفئة من جهة، وبين ايمان الجماهير العربية بالوحدة وحاجتها الحيوية اليها من جهة أخرى. وكان هذا التناقض الذي وعته نظرة الحزب الثورية لا يقل خطورة عن التناقض القائم في الاوضاع الاجتماعية بين طبقات المجتمع العربي. وكان ظهور الحزب الذي انطلق من هذا الوعي الثوري بداية لمفهوم جديد للوحدة العربية. اذ نظر اليها على انها عملية ثورية لاتتم عفواً كمحصلة آلية لتحرر الاقطار العربية ولتحقيق المجتمع الاشتراكي فيها بل اعتبر الحزب ان الوحدة هي حالة مناقضة للاوضاع الراهنة وللعقلية السائدة التي اسماها عقلية التجزئة وهي عملية تناقض المصالح الراهنة. بينما كان المفهوم السائد عنها قبل الحزب يعطيها صورة عاطفية تصلح لان توضع في برامج الاحزاب والخطب فتخدر عند الشعب حس الحاجة للوحدة والمطالبة بها بدلا من ان توقظه وتنميه، وجعلها الحزب في مستوى الثورة الاشتراكية وفي مستوى الحرية، اي ان الوحدة تحتاج الى تغيير جذري للواقع الراهن، وبالتالي يكون كل ادعاء للوحدة دون تبني هذا المفهوم الثوري لها وما يترتب عليه من نضال يومي فكري وعملي لتغيير العقلية وتغيير الاوضاع ادعاء كاذباً للتضليل والتخدير.

ولكي لا تبقى الوحدة عرضة لتلاعب السياسيين ومتاجرتهم الكلامية ، ولكي لا يدعي العمل لها من تجعلهم مصالحهم الطبقية والاقليمية ابعدا ما يكونون عنها ، فقد اعطاها الحزب مضمونها الجماهيري الاشتراكي ، وبذلك اعطاها الدم والحياة فاستقطب القوى الشعبية المخلصة لها والقادرة على تحقيقها .

من هذه النظرة انطلق الحزب يوم اخذ يعمل ويوجه ويناضل من اجل نقل شعار الوحدة الى مجال التطبيق . ولم يدفعه الى التخطيط للوحدة بين سورية ومصر اي دافع سلبي واي خوف من خطر خارجي وداخلي مزعوم ، ولم يفعل ما فعل ليتحد مع عبدالناصر بعد انتصاره على العدوان الثلاثي ، بل كان دافعه في ذلك ايجابياً خالصاً ، يكفي للتدليل على ايجابيته انه طرح شعار الوحدة بين سورية ومصر منذ عيد الجلاء في نيسان من عام ١٩٥٦ .

لقد انطلق الحزب اولا وقبل كل شيء من عقيدته وايمانه بضرورة النضال من اجل تحقيق شعار الوحدة ووجد في الظروف التي اجتمعت آنذاك ما يدفعه الى القيام بخطوة عملية حاسمة في هذا السبيل .

ففي تلك الفترة كان المد الشعبي آخذاً في الازدياد في اكثر الاقطار العربية بينما كان الاستعمار يتراجع ويندحر ، وكانت الرجعية تضطر محرجة اما الى تمزيق براقعها والتعاون السافر مع الاجنبي ضد وطنها واما الى مجارة التيار الشعبي الصاعد . وكان يرافق هذا التقدم في الحركة الشعبية العربية انتصار حركة التحرر في اكثر بلدان العالم وفي آسيا وافريقية خاصة . فكانت الشعارات العربية تأخذ هكذا معنى تاريخياً انسانياً . وبدت هذه الفترة وكأنها انسب وقت لتحقيق اول خطوة في طريق الوحدة العربية تطبع بدايتها الثورية الانسانية الطريق كله بطابعها . وكانت شروط وظروف مماثلة كثيرة قد اتاحت لقطرين عربيين هما سورية ومصر ، في مجال السياسة الخارجية ومكافحة الاستعمار والدعوة الى الحياد الايجابي والقومية العربية والنظام الاجتماعي التقدمي . فاراد الحزب الا يضيع هذه الفرصة وان يقدم البرهان على ان الوحدة وليدة التقارب في الاتجاه والمبادئ .

اما الاختلاف الاساسي الذي كان قائماً بين السياسة المطبقة في القطرين ،

ونعني الخلاف حول الحرية والديمقراطية فقد امل الحزب، بتفاؤل سطحي، في قدرة الوحدة على ازالته، وتوقع ان يؤدي التفاعل الشعبي بين اقليمي الدولة الاتحادية والتفاعل الشعبي بين هذه الدولة وبين حركات النضال في باقي اجزاء الوطن العربي الى تطوير النظام الفردي الذي كان قائماً في مصر تطويراً سريعاً نحو الديمقراطية. وكان الحزب، منطلقاً من مفهومه للوحدة ومستقبلها، يرى في هذه الوحدة التي تمت بين مصر وسورية بداية للوحدة الشاملة، وانها لا بد ان تكون واعية لكونها بداية، فتضطلع بالتالي بمسئوليتها كقدوة وكسواء جذابة. وكان يأمل ان يقود هذا الايمان الجمهورية الجديدة بوصفها بداية للوحدة الكبرى، الى سياسة داخلية وخارجية وعربية واجتماعية تقوم على اساس تنمية هذه البداية وجذب الاقطار العربية الاخرى اليها، ويرى ان سياسة الدولة الجديدة في سائر المجالات لا بد ان تتغير جذرياً حين لاتعتبر نفسها خاتمة المطاف بل بداية يجب ان تنمو وتتطور. فتلک السياسة، حين تنطلق من هذه النظرة، ستكون مدعوة الى ان تقيم توازناً بين جهودها الداخلي في التطور والتنمية الاقتصادية وبين تحملها اعباء مساندة الثورة والنضال في الاقطار العربية الاخرى، وتوازناً بين سياستها الخارجية وبين مهمة تنمية الوحدة وتغذية النضال العربي وجذب اقطار جديدة الى الوحدة.

### ايها الشعب العربي

امام هذه المسؤوليات التاريخية لاول تجربة للوحدة بعد مرور مئات السنين على تجزئة الاقطار العربية، كان من الواجب، كيما تأتي هذه التجربة سليمة ومشجعة وحاملة بذور الحياة والنماء، ان تجتمع لقيادتها والاضطلاع بمسئوليتها الجسيمة خبرة نخبة من العناصر النضالية في الامة العربية من مشرقها الى مغربها، وان يكون التفاعل عميقاً ومستمراً بين هذه التجربة وبين التجربة الثورية العربية لكل قطر، وكان من الواجب ان تكون التجربة منتبهة منذ البدء لامراض التجزئة ورواسبها ولمشكلات المجتمع العربي المتخلف وللعقبات التي تضعها المصالح الرجعية والاقليمية والاستعمارية في طريق الوحدة.

## ايها الشعب العربي . .

الى جانب هذا المستوى الذي كان عليه الحزب عند قيام الوحدة، كان مستوى الوعي لدى معظم الحركات الشعبية في مختلف البلدان العربية يعوزه الكثير من النضج والتنسيق . وقد اثار تحقق الوحدة من الحماسة والتفاؤل في نفوس الفئة الواعية من ابناء الشعب العربي اكثر مما اثار عندها من التقدير الواعي لاهمية هذه الخطوة ولضرورة السهر عليها وتجنبها الاخطاء والعثرات . ولقد ادخلتها اكثر الحركات العربية الثورية والتقدمية في حسابها ورصيدها تستغلها وتتقوى بها من اجل قضاياها الاقليمية، دون ان تكون مستعدة لتحمل قسطها من المسؤولية في مراقبة الوحدة وسلامة اتجاهها . بل ان تأييدها الأعمى المنطلق من النظرة الاقليمية الضيقة ومن المصالح العابرة، قد شجع الانحراف وسهله واسهم في الفشل الذي شملت نتائجه هذه الحركات كلها بل الشعب العربي كله .

ان نكسة الوحدة غنية بالدروس والعظات للقائمين على النضال العربي في سائر الاقطار العربية، ومن اهم هذه الدروس ان وحدة النضال العربي هي في هذه المرحلة التعبير العملي عن وحدة الامة العربية، وان كل تجاهل لهذه الحقيقة من قبل الحركات الشعبية في الوطن العربي وكل تلكؤ منها في توحيد نضالها وتنسيق خطتها وتفاعيل تجاربها يبقي قضية امتنا عرضة للنكسات والاحطار، وان كل خطوة في طريق الوحدة معرضة للتعثروالفشل بمقدار ما في وحدة النضال من فتور وثرغرات . ولقد تجلى هذا الضعف في مستوى الوعي العربي اثناء الوحدة في الاقليم المصري بخاصة . وكان حزبنا يعلق املا كبيراً على التفاعل الشعبي بين اقليمي الجمهورية، من اجل ان تتلافى مصر شيئاً كثيراً من هذا التخلف في الوعي العربي، ولكي تتعمق الافكار والشعارات التي بدأت تنطلق فيها نتيجة التوجيه الرسمي وحده دون ما مشاركة شعبية فعالة .

اننا نعتبر مصر ذات وزن خطير وامكانية ضخمة في كل نضال عربي، وبصورة خاصة في النضال من اجل الوحدة، واننا بالرغم من رفضنا القاطع الحاسم لكل دعاية تريد ان تظهر مصر وشعبها بمظهر الغرباء عن العروبة نعتبر ان الفئات الواعية

مطالبة بعملية نقد صريح عميق لجميع العوامل والرواسب التي توجد هذا الضعف الشامل في الوعي العربي في مصر. كما ان هذه الفئات مطالبة بدفع الشعب العربي في مصر الى الافادة من طاقات مصر من اجل الاسهام في بناء الامة العربية بناءً سليماً بدلاً من استغلال ذلك لاغراض اقليمية.

### ايها الشعب العربي . .

ان كل ما مر بك في تجربة الوحدة بين سورية ومصر يوم تحقيقها واثناء انتكاستها وبعد انفصالها يكشف لك عن العامل الفعال دوماً في الحفاظ على الوحدة وسلامتها الا وهو بناؤها على اساس الارادة الشعبية والنضال الجماهيري الموحد في الوطن العربي المستند الى تفاعل الحركات الشعبية في سائر البلدان العربية وتأثر تجاربها وجهودها. وسبيل العودة الى النضال الحقيقي في سبيل الوحدة وفي سبيل تعميق الثقة بها في نفوس ابناء الامة العربية لن يكون الا بتوحيد نضال الحركات الثورية في الوطن العربي توحيداً جدياً من اجل رفع مستوى الوعي العربي والتنظيم الشعبي وبتكثفها جميعاً ضد الرجعية التي تجمع قواها وضد سائر الاوضاع الراهنة التي تعمل على ابقاء التجزئة واذكاء الفروق الاقليمية والمصالح المحلية. ولا بد لهذا النضال العربي الموحد كما يجنب مفهوم الوحدة ما اصابه من شكوك وتعثرات ان يكون عمله في سبيل الوحدة مستنداً الى تصور واضح لنظام في الوحدة قادر في آن واحد على حفظ معناها القومي وعلى الحيولة دون انحرافها نحو التسلسل الاقليمي. والنظام الذي دعا اليه الحزب منذ مباحثات الوحدة والذي يراه محققاً لهذا الغرض هو نظام الدولة الواحدة الاتحادية.

ان هذا النظام ياخذ بعين الاعتبار في نفس الوقت حقيقة وحدة الشعب العربي من جهة وواقع الاقطار العربية من جهة ثانية.

ان هذا النظام الاتحادي هو الذي يحقق المعنى الحقيقي للوحدة وهو تحقيق قوة الامة العربية ومنعتها وبناء نهضتها وحضارتها وضمان استقلالها وحمايتها من اعدائها كما انه هو الذي يزيل المخاوف والشكوك وما يمكن ان تخلفه النزعات الاقليمية ورواسب التجزئة ويسراعي الفروق المحلية والاضاع الخاصة لكل اقليم



ويحقق التفاعل الخصيب بين الاقاليم المشتركة حين يضمن مشاركتها الفعلية في رسم سياسة الدولة الواحدة وفي تنفيذ تلك السياسة .

ان حماية الوحدة من مخاطر الطغيان الاقليمي ومزالق النزعات المحلية الضيقة لاتعني ان تفقد الوحدة معناها وان تتخذ التجزئة اصلا بل تعني ان تضع لها الضمانات الواقعية التي تحول دون انحرافها محتفظة بجوهر الوحدة وروحها وقدرتها على الانماء والصهر، وهذا ما يحققه شكل الدولة الواحدة الاتحادية . ومضمونها الاشتراكي الديمقراطي .

يا جماهير شعبنا المناضل . .

ان مسؤولية تحقيق الوحدة الاتحادية ذات المحتوى التحرري الاشتراكي الديمقراطي تقع على عاتق الطبقات الشعبية والحركات الثورية التحررية . وان حزب البعث العربي الاشتراكي يعاهد الشعب على متابعة النضال لتحقيق اهداف العرب الكبرى في الوحدة والحرية والاشتراكية .

عاش نضال الشعب العربي في سبيل اقامة وحدته الاتحادية ، عاشت وحدة النضال الشعبي لتحقيق الوحدة وتحطيم اعداء حرية الشعب ووحدته وتقدمه من رجعية وانفصالية واستعمار .

شباط ١٩٦٢